#### 

الآرة ، كيف يقول سبحانه ( أنّى ) بصيغة الماضى ، ثم يقول : ﴿ فَلا تَسْتُعْجِلُوهُ . . ( ) ﴾ [النحل] أى ؛ في المستقبل ؟ نقول : لأن قبوله تعالى : ( أنّى ) فهذه قضية منتهية لا شكّ فيها ولا جدال ، فليس هذاك قبوة أخرى تعارضها أو تمنع حدوثها : لذلك جاءت بصيفة الماضى وهي في الواقع أمر مستقبل .

ثم يقول الحق سبحانه :

## الله المُعَمَّلَتُهُ فَأَنْبُذَتَ بِهِ مَكَانَا فَصِيبًا ١

( فَحَمَلِنَهُ ) أي : حملتُ به على الحذف والإيصال ، والحمل يقتضى حاملاً ومحمولاً ، وفَانتَلَاتُ به مكاناً قَصِباً ( ) إحريم لا تظن أن هذه اللفطة من القحمة لقطة مُعادة ، فالانتباذ الأول كان للخلوة للعبادة ، وهنا ﴿ فَانتَبلَاتُ به ما ( آن) ﴾ [مريم ] أي : ابتعدتُ عن القوم لما المستَّ بالحمل ، وخشيت أعين الناس وفضولهم فضرجتُ إلى مكان يعيد .

## وَ اللَّهُ اللَّهُ مَا اللَّهُ اللَّاللَّهُ اللَّهُ اللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ ا

و فَأَجَاءُهَا . ( ) الفعل جاء نالان اى : باختياره ورضاه ، إنصا اجاءه فلان أى جاء به رغما عنه ودون إرادته ، فكأن المخاص هو الذي الجاها إلى جذّع النظة وحملها على الذهاب إلى هذا المكان رُغُما عنها ﴿ فَأَجَاءُهَا مَا . ( ) و إمريم اى : جاء بها ، فكأن مناك قوة خارجة عنها تشدّها إلى هذا المكان .

#### 100 SA

#### @1:10@+@@+@@+@@+@@+@

والمضاض في هو الآلم الذي ينتاب المرآة قبل الولادة ، وليس هو الطُلْق الذي يسبق نزول الجنين .

وقوله : ﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخُلَةِ .. ( (17 ) ﴾ [مربم] أوضح لنا علّة مجيئها إلى جِذْع النخلة ؛ لأن المرأة حينما بأنى وقت ولادتها تحتاج إلى ما تستند إليه ، وتتشبث به ليخفف عنها ألم الوضع ، أن رقيقة لها تفزع إليها وتقاسمها هذه المعاناة ، فالجاها المخاص \_ إذن \_ إلى جـذع ( النخلة ) ، وجاءت النخلة مُعرِّفة لانها نخلة معلومة معروفة .

وجدَع النخلة : ساقلها الذي يبدأ من الجدر إلى بداية الجريد ، فلل ستتشبث مريم عند وضلعها بكلل هذه الساق ؛ بالطبع ستأخذ الجزء القريب منها فقط ، وأطلق الجدّع على سبيل المبالغة ، كما في قلوله تعالى : ﴿ يَجُعُلُونَ أَصَابِعَهُم فِي آذَانِهِم مِن العَبُواعِي حَذَرُ المُوتِ . (1) ﴾ [البدة]

ومعلوم أن الإنسان يسدُ أذنه بأطراف الأصابع لا بأصابعه كلها ، فعبَّر عن المعنى بالأصابع مبالغة في كَثُم الصوت المزعج والصواعق التي تنذل بهم .

إذن : فالسيدة مريم أصبحت أمام أمر واقع وحمل ظاهر لا تستطيع إخفاءه ، ولا تقدر على سيره ، فقد قبلت قبل ذلك أن يُبشرها الملك بغلام ذكي ، وقبلت أن تحمل به ، فكيف بها الآن وقد تحسول الأمر من الكلام إلى الواقع الفعلى ، وها هو الوليد في أحشائها ، وقد حان موعد ولادته ؟

لأبدُّ أن ينتابها نزوع انفعالي فالأمر قد خرج عن نطاق السَّتْر

#### 1 TO 1 TO 1

#### 00+00+00+00+00+0+1/10

والتكثم، فإذا بها تقول: ﴿ يَسْلَيْتَنِي مِنْ قَبْلُ هَسْلَا وَكُنتُ نَسَياً مُسَيًّا ﴿ آَلُهُ ﴾ [مريم] أي: تمنتُ لو ماتت قبل أن تقف هذا الموقف العصيب، مع أن الملك حين اخبرها من تسبل بأن الله تعالى سيهبُ لها غلاماً زكياً تعجبتُ قائلة : ﴿ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلامً وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿ آَلَ ﴾ [مريم]

مجرد تعجّب وانفعال هادئء ، أما وقد أصبح الأمر ولادة حقيقية فلا بدّ من ضعل نزرعى شديد يُحبّر عما هى ضيه من ضيرة ، لذلك تمنت الموت ، مع أن الله تعالى نهانا عن تعنى الموت ، كما ورد فى الحديث الشريف الذى يرشدنا إذا ضاقت بنا الحياة ألا نتمنى الموت ، بل نقول : ﴿ اللهم المينى ما كانت الصياة خيراً لى ، وثوفّنى ما كانت الوفاة خيراً لى ، وثوفّنى ما كانت الوفاة خيراً لى ، وثوفّنى ما كانت

وقلنا: إن تمنى الموت المنهى عنه ما كان فيه اعتراض على تُدُر الله ، وتمرد على إرادته سبحانه ، كأن تكره الحياة والعيش إذا ضاق بك فتتمنى الموت ، أما أن تتمنى الموت لطمك أنك ستصير إلى خير مما تركت فهذا أمر آغر .

وقد ورد في القرآن مسألة تمني الموت هذه في الكلام عن بني إسرائيل الدنين قالوا : نحن أبناء الله واحباؤه "، وقالوا : لن تحسنا النار إلا أباماً معدودة "، وأن الدار الأخرة لنا خالصة عند الله ، فبعاذا ردّ عليهم القرآن الكريم ؟

(٢) قال شعالى : ﴿ وَقَالَت الْبَهُوهُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ اللَّهُ وَأَحْدُوهُ قُلْ فَلَمْ يَعَدَيْكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْهُم بَشُو "
 (٢) قال شعالى : ﴿ (١٥) ﴾ [السائدة] .

 <sup>(1)</sup> عن أنس رضى الله عنه قبال قال رسبول الله ﷺ: « لا يتمنين أحدكم الموت نخسر نزل ب ، فإن كان لابد منعنياً فليقل : اللهم أحيني صا كانت الحياة خيراً لى ، وقوفني إذا كانت الوفاة خيراً لى ، اخرجه مسلم في صحيحه (٢٩٨٠) ، وكذا البخاري في صحيحه (١٣٥١) .

 <sup>(</sup>٣) أَمَالُ تَسَالَى : ﴿ وَقُالُوا لَنْ تُصَمَّنَا النَّارُ إِلَّا لَيَامًا مُعَمَّرُونَةً قُلْ أَتَخَذَتُمْ عِندِ اللَّهِ عَهِداً قَالَ يُخْلِف اللَّهُ عَهْدَةً .. (٨) ﴾ [الوثورة] .

#### 6.00

#### 01.100+00+00+00+00+0

والله طالما أن الأمر كما تقولون ، والآخرة لكم ﴿ أَخَمَنُوا الْمَوْتَ إِنْ كُنتُمْ صَادَقِينَ ١٠٠ ﴾ [البقرة] ثم قرر الحق سبحانه ما سيكون منهم فقال : ﴿ وَلَن يَتَمَنُّوهُ أَبَدًا بِمَا قُدُمَتُ أَيْدِيهِمْ . . ﴿ )

وقال عنهم : ﴿ وَلَتَجِدُنُّهُم أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَّاةً .. ٢٠٠٠ ﴾ [البقرة]

وما داموا لن يتمنوا المصوت ، وما داموا أحرص الناس على الحياة ، فلا بُدّ أن حياتهم هذه التي يعيشونها أفضل لديهم من الحياة الأخرى .

فالمؤمن \_ إذن \_ لا يجوز أن يتعنى الموت هرباً من بلاء أصابه أو اعتراض على قَدَرِ الله ، ويجوز له ذلك إنَّ علم أنه صائر إلى أفضل مما هو فيه .

وقولها : ﴿ نَسَيا مُنسِياً ﴿ آلَ ﴾ [ديم] النسى : هو الشيء النافه الذي لا يُؤْيه به ، وهذا عبادةً ما يُنْسَى لعدم أهميته ، كالرجل الذي تسي عند صاحبه علبة كبريت بها عودان اثنان ، وفي الطريق تذكرها فعاد إلى صاحبه يطلب ما نسبه ، وهكذا تمنت مريم أن تكون نسياً منسياً حتى لا يذكرها أحد .

ولم تكتف بهذا ، بل قالت : ﴿ نَسُا مُسَالًا ۚ [سريم] لأن النسى : الشيء التافه الذي يُسسَى في ذاته ، لكن رغم تقاهته فريعا يجد مَنْ يتذكره ويعرفه ، فاكدت النسى بقولها ( منسياً ) أي : لا يذكره أحد ، ولا يفكر فيه أحد .

ثم يتول الحق سبحانه:

### @77-1-0+0-0+0-0+0-0+0-0+0-0+0-0

### وَ فَنَادُ مِنْهَا مِن تَعْلِمُ ٱلْآتَعُرَٰ فِي فَلْجَعَلَ وَيُعَالِمُ مَعَلَ مَعَلَ مَعَلَ مَعَلَ مَعَلَ مَعَل رَبُّكِ تَعَنْكِ سَرِيًّا ۞ ﴿

﴿ مِن تُحْبِها .. (17) ﴿ [مريم] فيها قراءتان ﴿ مِنْ ، مَنْ ) صحيح أن جبريل عليه السلام ما زال موجوداً معها لكنه ليس تحتها ، فدلُ ذلك على أن الذي ناداها هو الوليد ﴿ أَلا تُحْزَنِي ، . (27) ﴾ [مريم] ، وحزن مريم منشؤه الانقطاع عن الناس ، وأنها في حالة ولادة ، وليس معها مَنْ يستدها ويساعدها ، وليس معها مَنْ يُحضِر لها لوازم هذه المسالة من طعام وشراب ونحوه .

لذلك تعبّدها ربها تبارك وتعالى فوضَر لها ما يُقبِتها من الطعام والشراب ، فقال : ﴿ فَلا جُعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿ اللهِ الديم والسري : هو النهر الذي يجرى بالماء العَذُب الزُّلال ، ثم يعطيها الطعام المناسب لحالتها ، فيقرل تعالى :

### مَ وَهُزِيَ إِلَيْكِ بِمِنْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَافِظُ عَلَيْ وَهُزِيَ إِلَيْكِ بِمِنْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَافِظُ عَ عَلَيْكِ رُطَبَاجِنِيَّا ۞ ﴿

وهكذا وقر الحق سبحانه وتعالى لعريم مقومات الحياة وعناصر استبقائها ، وهي مرتبة على حسب اهميتها للإنسان : الهواء والشراب والطعام ، والإنسان يصبر على الطعام شهراً دون أن يأكل ، ويمكنه أن يقتات على ما هو مضرون في جسمه من غذاء ، لكنه لا يصبر على الماء أكثر من ثلاث أيام إلى عشرة أيام حسب ما في جسمه من

#### 10 TO 10 A

#### 01.V00+00+00+00+00+0

مائية ، في حين لا يصبر على الهواء لمظة ولحدة ، ويمكن أنْ يموتَ من كُتُم نفس ولحد ،

لذلك ، من حكمة الخالق سبحانه وتعالى أن يُملُك الطعام كثيراً ، ويُملك الماء قليلاً ، ولا يُملُك الهراء لأحد أبداً ، لأنك لو غضبت على أحد فمنعت عنه البهواء لمات قبل أنْ ترضى عنه ، إذن : فعناصر استبقاء الحياة مرتبة حسنب أهميتها في حياة الإنسان ، وقد ضمنها الحق سبحانه لمربع وجعلها في متناول بدها وأغناها عن أنْ بخدمها أحد .

قالهواء موجود وهي في الفيلاء . ثم العاء فاجرى تحتها نهراً عذباً زلالا ، ثم الطعام فقال : ﴿ وَهُزُى إِلَيْكِ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ مُرْعًا إِلَيْكِ بِجِدْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكِ رُطَبًا جَيَّا (27) ﴾ [سيم] وكان الحق \_ قبارك وتعالى \_ يريد أن يُظهر لمريم آية اخرى من آياته ، فامرها أن تهز جنع النخلة اليابس الذي لا يستطيع هُرَّه الرجل القوى ، فما بالها وهي الضعيفة التي تعانى ألم الولادة ومشاقها ؟

كما أن الحق سبحانه قادر على أنّ يُنزل لها طعامها دون جَهُد منها ودون مُزّها ، إنما أراد سبحانه أن يجمع لها بين شيئين : طلب الأسباب والاعتماد على المسبب ، الآخذ بالاسباب في هَزُ النخلة ، وغم أنها متعبة قد أرهقها الحمل والولادة ، وجاء بها إلى النخلة لتستند إليها وتتشبيث بها في وحدتها لنظم أن الإنسان في سعيه مُطّالب بالاخذ بالأسباب مهما كان ضعيفاً .

لذلك أبقى لمريم اتضاد الأسباب مع ضعفها وعدم قدرتها ، ثم

تعتمد على المسبّب سبحانه الذي أنزل لها الرُّطَب مُستوياً ناضجاً ، رهل استطاعت مريم أنْ تهزّ هذا الجدع الكبير اليابس ؟

إنها مجدد إشارة إليه تدلُّ على امتثال الأمدر ، والله تعالى يتولى إنزال الطعام لها ، وقد مدَوَّر الشاعر هذا الموقف بقوله :

أَلُمْ تَسرَ إِنَّ اللهَ تَسَالِ لمسرِّيْمِ وَهُلزَّى إليك الجِدُّعَ بَسَأَلَاط الرُّطبُّ وَإِنْ شَاءَ أعطَاها ومِنْ غير هَزَّة ولكن كُللُّ شَسَىء لَسهُ سَسَبِّبُ

وقوله : ﴿ تُسَاقِطُ .. ﴿ ﴾ [ مربم ] أي : تتساقط عليك ﴿ رُطُّا جَنيًا ﴿ ثُلُّا ﴾ [مربم ] أي : استوى واستحق أن يُجنى ، وليس مُبتسراً قبل موعده ، ومن الرُّمُب ما يتساقط قبل نُضَجه فلا يكون صالحاً للاكل .

وقوله : ﴿ تُسَاقِطُ عَلَبُكِ .. ﴿ آ ﴾ [مريم] فيه دليل على استجابة الجماد وانفِعاله ، وإلا فالبلَصة لم تخرج عن طَوْع أمها ، إذن : فقد القَتْها طواعية واستجابة حين ثمُّ نضجها .

ثم يقول الحق سبحانه :

# وَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ وَاللَّهُ وَقَرْى عَيْمَنَا فَإِمَّا مَرَينَ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَ ذُرْتُ وِللرَّمْ يُنِ صَوْمًا فَلَنْ أُحْكَلِّمَ ٱلْيُوْمَ إِنسِيبًا ٢٠٠٠ اللَّهُ اللَّهُ مَا يُناهُ اللَّهُ مَا يُناهُ اللَّهُ اللَّالِمُ الللَّا اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّل

ونلحظ هنا أن الحق - تبارك وتعالى - عند إيجاد القُوت لمريم جاء بالماء اولاً ، فقال : ﴿ قَدْ جَعَلَ رَبُك تَحْتَك سَرِيًا (١٢) ﴾ [مريم] ، ثم أتى بالطعام فقال : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْك بِجِدْعُ النَّخُلَة تُسَاقِطْ عَلَيْك رُطّبًا جَيًّا أَتَى بالطعام فقال : ﴿ وَهُزِّى إِلَيْك بِجِدْعُ النَّخُلَة تُسَاقِطْ عَلَيْك رُطّبًا جَيًّا أَتَى بالطعام فقى احتياج الإنسان ، اما عند

#### 01.7100+00+00+00+00+0

الامر بالانتفاع قال : ﴿ فَكُلِي وَاشْرَبِي .. ( الله المبدأ بالطعام قبدأ بالطعام قبل الشراب ، لماذا ؟ لأن الإنسان عادة ياكل أولاً ، ثم يشرب ، فالماء مع أهمينه ، إلا أنه يأتى في العادة بعد الطعام ، فسبحان مَنْ هذا كلامه .

وتوله : ﴿ وَقَرِى عَيْنًا .. (37) ﴾ [سريم] بعد أن وقر لها الحق سبحات الطعام والشراب الذي هو قوام العادة ، وبه يتم استبقاء الحياة ، لكن بعد الطعام والشراب يبقى لديها حُزُن عميق والم وحيدة مما هي فيه ؛ لذلك يعطيها ربها تبارك وتعالى بعد القوت الذي هو قوام العادة يعطيها السكينة والطمأنينة ويُخفّف عنها ألم النفس وحيرة الفؤاد .

﴿ وَقَرْى عَيْنًا .. ( ) ﴾ [مريم] قرى : أى : اسكنى . وهذا التعبير عند العبرب كناية عن السبرور ، ومنه قبوله تعالى عبلى لمسان امبرأة قرعون : ﴿ قُرَّتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ .. ( ) ﴾

والعرب تعبر بقُرَّة العين رسكرنها عن السرور ! لأن سكون العين على مَرأَى واحد لا تتحول عنه دليلٌ على أن العين صادفت مرأى جميالا تسعد به وتُسرَّ فالا بُغنى عنه مَرأَى آخر ، فتظل ساكنة عليه لا تتحرك عنه .

وقد يستعمل هذا التعبير في المقابل أي : في الشر والدعاء على إنسان وشعنى الشر له ، كالعرأة التي دخلت على أحد الخلفاء فنهرها فقالت له : أثم ألف عليك نعمته وأقر عبنك . فظن الحضور أنها تدعو له ، لكنه فَطن لصرادها ، فقال لجلسائه : ما فهمتم ما تقول ، إنها

#### 

تنصد أنمُّ الله عليك نعمته أي : أزالها ، أما سمعتم ثول الشاعر :

إِذَا ثُمُّ شَيَّةً بَدَا نَقْصُه تَرقُّبُ زَوَالاً إِذَا قَبِلَ ثُمُّ

ذلك لأن الإنسان بطبيعت ابن أغيار ، لا يثبت على حال ، فإذا ما وصل إلى القمة وتمت له النعمة ، وهو ابن أغيار فلا بُدُ أنْ يتحرّل عنها .

وقولها : أقرُّ الله عينك ، أي ﴿ أَسُكُنُّهَا بِالعمى ،

فقوله تعالى للمريم: ﴿وَقُرِّي عَيْنًا .. (™﴾ [مريم] أي : كوني سعيدة باصطفاء الله لك مسرورة بما أغطاك ، فما تهتمين به وتحزنين هو عَيْن النعمة التي ليستُ لأحد غيرك من نساء العالمين .

وهنا يتولَّى الحق سيحانه وتعالى الدفاع عن مريم رتبرير موقفها الذى لا تجد له هى مبرراً في أعراف الناس ، قَمنُ يلتمس عُذُراً لامرأة تحمل وتلد دون أن يكون لها زوج ؟ ومهما قالت قلن تُصدتُق ولن تسلَّم من ألسنة القوم وتجريحهم .

إِنْنَ : فجواب ما يكره السكوت ، فأمرها سبحانه أنْ تلزم الصمت ولا تجادل أحداً في أمرها : ﴿فَقُولِي إِنِّي نَذَرَتُ لِلرَّحَمَّ فِي صَوْمًا فَلَنْ أَكْلَمَ الْمَوْمُ إِنْسِياً ( عَنَ أَمَر عَمَ عَنَ الكلام ، كما حدث مثل اليومُ إنسِياً ( عَنَ ﴾ [مريم] والصوم هنا أي : عن الكلام ، كما حدث مثل هذا في قصة زكريا ؛ لأن المعجزات قريبة من بعضها ، فقد أعطى الله

#### ( To 100)

#### 

رُكريا مع عُطُب الآلات ، وأعطى مبريم بنقص الآلات ، ولا يبرر هذه المعجزات ولا يدافع عنها إلا صانعها تبارك وتعالى .

وهذه المسألة اعترض عليها بعض الذين يحبون أنّ ينتقدوا على القرآن ، فقالوا : كيف يأمرها بالصوم عن الكلام ، وفي نفس الوقت يأمرها أن تقول : نذرت للرحمن صوماً(!) ؟

يجور أنها قالت هذه ألعبارة أولاً لأول بشر رأته ليتم بذلك إعلان صومها ، ثم انقطعت عن الكلام ، ويجوز أن يكون المراد بالكلام هنا الإشارة ، والدلالة بالإشارات أقبى الدلالات رأعبها ، فإن المنتفت اللغات بين البشر لأن كل جماعة تواضعوا على لغة خاصة بهم ، فإن لغة الإشارة نظل لغة عامة يتفق عليها الجميع ، فعثالاً حين تُومى، برأسك هكذا تعنى نعم في كل اللغات ، وحين تُشير بأصبعك هكذا تعنى نعم في كل اللغات ، وحين تُشير بأصبعك هكذا تعنى لا ، إذن : فالدلالة لغة عالمية وعامة .

وقد تعرَّضَ القرآن الكريم في موضع آخر لهذه المسألة في قوله تعالى : ﴿ حَنَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدُيْنِ وَجَدَّ مِن دُونِهِمَا قَوَّمُا لاَّ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴿ آ ﴾ [الكهف]

أى : لا يقربون من الفهم ، فَهُمْ يفهمون من باب أولى ، ومع ذلك كان بينهم كلام وإشارة ولفة ، وفهم كل منهم عن الآخر : ﴿ فَالُوا يَسْلَمُ الْقُرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوحَ وَمَأْجُوحَ .. (3) ﴾

<sup>(</sup>۱) قال أبر يمي زكريا الإنصاري في و فتح الرحمن بكشف ما يلتبس في القرآن و ص ٢٥٥ .

و قرله تعالى : ﴿ فَقُولَ إِنِّي نَذَرَتُ لِلرَّحْمَتِ صَوْمًا قَلْ أَكُلُم الْبُومُ إِنْسِا (١٠٠) ﴾ [دريم] مرتب على مقدّر بينه ربين الشرط تقديره : فإما ترين من البشر أحداً ، فيسائك الكلام ، فقولي إنى تذرت . الآية ، وبهذا سقط ما قيل من أن قولها و فإن أكلم اليوم إنسياً و كالام بعد الندر ، إذ هو بهذا التقدير من تمام الندر لا بعده » .

ونلحظ في قولها : ﴿ فَأَنْ أَكُلُمُ الْمَوْمَ إِنْسِنًا ﴿ آَلَهُ إِنْ النّهِ النّهِ اللهِ عَنْ الكلام مع البشر خاصة فلم تُقُل : لن أتكلم ، وإلا فععها جبريل عليه السلام - يُكلّمها وبينهما تفاهم ، لعلّه يرى لها مُخْرجاً ، وقد كانت معربم واثقة مطمئنة إلى هذا العاخرج ، فإذا كان ربها - تبارك وتعالى - أمارها بالصوم عن الكلام ، قاته سينطق الوليد لليتكلم هو ويدانع عن أما أمام اتهامات القوم .

ولما تكلمنا في قوله تعالى : ﴿ فَنَادَاهَا مِن تَحْتِهَا أَلا تُحْزَنِي .. وقلنا : إنه إمريم استبعدنا أنْ يكون هذا النداء من جبريل ، وقلنا : إنه نداء الوليد : فذلك اطمأنتُ سريم وعلينُ أنها أمام معجبزة عُظْمى ، ووثنتُ تمام الثقة أنها حين تُشير إليّه سيتكلم هو ويردُ عنها الحرج مع قومها ؛ لأن الكلام معننُ يقدر على الكلام لا يباتى بحجة تُقنع الناس عن خلاف العادة ، أما حين يتكلم وهو في المهد ، فهذا يعنى أنه معجزة خارقة للعادة ، فإذا كان الوليد معجزة فالمعجزة في أمه من باب أولي.

ثم يقول الحق سبمانه:

## ﴿ فَأَتَتْ بِهِ ، قُوْمَهَا تَعْمِلُهُ فَالُواٰ يَكُمَرْ يَكُ لَقَدْ جِنْتِ شَيْئَا فَرِيَّا ۞ ﴿ لَكُ

ونعجب للسيدة مبريم ، فبدلُ أن تخجل مما حدث وتستتر بوليدها عن أعين الناس ، أو تتتقل به إلى مكان آخر في فيافي الأرض إذا بها تحمله ، وتذهب به ، وتبادر به قومها ، وما كانت لتفعل ذلك وتستجرأ عليه إلا لثنتها في الحجة التي معها ، والتي سنوافيها على يد وليدمًا .

#### @1.V1@@#@@#@@#@@#@@#@

لذلك لما سأل بعض المستشرقين الإمام محمد عبده رحمه الله في باريس : بأيّ وجه قابلتُ عائشة قرمها بعد حديث الإقلاد ؟ سبحان الله إنهم يعلمون آنه إقلادٌ وباطل ، لكنهم يرددونه كانهم لا يفهمون .

فأجباب الشيخ رحمه الله ببساطة: بالوجه الذى قبابلت به مريم قرصها وهى تحمل رئيدها . أى : بوجه الواثق من البراءة ، المطمئن إلى تأييد الله ، وأنه سبحانه لن يُسلِّمها أبداً ؛ لذلك لما نزلت براءة عائشة في كتاب الله قبالوا لها : الشكري النبي ، فقالت : بل أشكر الله الذي برأني من فوق سبع سموات () .

قلما رأها القوم على هذه الحال قالوا فيها قولاً غليناً : ﴿ يُسَعَرُيمُ لَلْهَدُ جَنْتِ شَيْناً فَرِياً ﴿ اللّهِ اللّهِ الْفَرَّى لَلْجَلَّد : تقطيعه ، والأمر الفرى : الذي يقطع صعتاداً عند الناس فليس له مشيل ، أو من الفرية وهي تعمد الكذب ،

ثم قالوا لها :

## وَمَاكَانَتُ أَمَّكِ بَنِيتًا ۞ إِلَى الْمَرَأُ مَنَوْهِ وَمَاكَانَتُ أُمَّكِ بَنِيتًا ۞ ﴿

قولهم لمريم : ﴿ يَمْأَخُتُ هَارُونَ .. ۞ ﴾ [مريم] هذا كلام جارح وتقريع ومبالغة منهم في تعييرها ، فنسلبوها إلى هارون الذي سُعُي

<sup>(</sup>۱) قالت عائلت رشعی الله عنها آن الوحی نزل علی رسول الله ﷺ فحمکننا عنه ، ویتی لاتبین السرور فی وجمه وحو یصحح جبینه ویطول » أبشری یا عائشة فحد أنزل الله براءتك » قالت : رکنت أشعد ما كنت غضمیاً ، نشال لی أبرای : تومی آیه ، فحقت : لا والد لا أطوم آله ولا أحمده ولا أحمدكما ، ولكن أحمد الله الذي أنزل باراءتی نقد سمعشوه فما أنكرتموه ولا غیرتمره ، أخرجه البخاری فیما ذكره این كثیر فی تفسیره (۲/ ۲۷۱) فی عدیث طویل .

على اسم النبى ، فانت من بيت صلاح ونشات في طاعة الله ، فكيف يصدر منك هذا الفعل ؟ كما تري أنت سيدة محجبة يصدر منها في الشارع عمل لا يتناسب ومظهرها فيتلومها على هذا السلوك الذي لا يُتصور من مثلها .

وقوله : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكُ امْراً سُوْء .. ( آ ﴾ [مريم] الرجل السوء هو الذي إنْ صحبتُهُ أصابكُ منه سرء ، ونالك بالأذى ﴿ وَمَا كَانَتُ أُمُّكُ بَغْيَا ( آ ) ﴾ [مريم] قلنا : إن البَغيُّ : هي المعراة التي تبغي الرجال وتدعوهم إليها ، فالمعراد : من أين لك هذه الصفة ، وأثت من أسرة غيرة صالحة ؟

وفي هذا دليل على أن نَصْحُ الأسرَ يؤثر في الأبناء ، فحين تُكرَّن الاسـرة المؤمنة والبيت المئتزم بشرع الله ، وحـين نحتخن الأبناء ونحوطهم بالعناية والرعاية ، فسوف تستقبل جيلاً مؤمناً واعياً نافعاً لنفسه ولمجتبعه .

إِذِنَ : مُعَولِهِم : ﴿ مَا كَانَ أَبُوكِ امْراً سَوْءِ وَمَا كَانَتُ أَمَّكَ بَعَيًّا ﴿ ١٠٠٠ ﴾ [مريم] اتهام صدريح لمسريم ، وتأكيد على أنها وقعتُ في مستخطور ، وكانهم مصدون على رُمِّيها بالفلحشة .

ثم يقول الحق سبحانه:

## وَ فَأَشَارَتَ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ ثُكُلِّمُ مَن كَانَ فِي اللهِ فَأَشَارَتَ إِلَيْهِ قَالُواْ كَيْفَ ثُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي اللهِ فَاللهِ قَالَمُ فَا اللهُ فَاللهِ عَلَيْهِ اللهِ فَاللهُ فَاللّهُ فَاللهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللهُ فَاللهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللهُ فَاللّهُ فَا لَا لَا لَلّا لَا لَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَاللّهُ فَا

أى : حين قبال القوم ما قبالوا أشارتُ إلى الوليد وهي واثقة أنه سيتكلم ، مطمئنة إلى أنها لا تحمل دليل الجريمة ، بل دليل البراءة . فلما أشارتُ إليه تقول لقومها : اسألوه ، تعبيبُوا : ﴿ قَالُوا كُيْفَ

والمهد : هو المكان الممهد المعدّ لنوم الطقل ، لأن الوليد لا بقدر أن يبعد الأذي عن نفسه ، فالكبير مثلاً يستطيع أنْ يُمهد لنفسه مكان نومه ، وأن يُخرج منه ما يُؤرِق نومه وراصته ، وعنده وَعُي ، فإذا آلمه شيء في نومه يستطيع أنْ يتحلّل من الصالة التي هو عليها ، وينظر ماذا يؤلمه .

ثم يقول الحق سبحانه:

## اللهُ قَالَ إِنِّ عَبِّدُ أَنَّهِ ءَاتَنْنِيَ ٱلْكِنْبَ وَجَعَلَنِي نِيبًا ٢

وكانه قال للقوم: لا تتكلموا انتم ، أنا الذي سأتكلم . ثم بادرهم بالكلام : ﴿ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللهِ .. ① ﴾ [مريم] وهكذا استهل عيسى عليه السلام كلامه بإظهار عبوديته لله تعالى ، وفي هذا دليل على أنه قد يقال فيه أنه ليس عبداً ، وأنه إله أو شربك للإله .

لذلك كانت أول كلمة نطق بها ﴿قَالَ إِنِّي عَبدُ اللّهِ .. ۞ ﴿ [مربم] فالمعجزة التي جاءتُ بن لا تمنع كُونن عبداً شن لذلك لو سالت الذين يعتقدون في عيسى عليه السلام أنه إله أو شريك للإله : إنكم تقولون أنه تكلّم في المهد ، فيماذا قال ؟ فلا يعترفون بقوله أبدا ؛ لأن قوله ونُطْقه : ﴿ إِنِّي عَبدُ اللّهِ .. ( ) ﴿ [مربم] ينفي معتقدهم من أساسه .

الميس هذا وفقط ، بل : ﴿ آتَانِي الْكِتَابُ .. ٢٠٠٠ ﴾ [سيم] لكن كيف

آناه الله الكتاب وهو ما يزال وليدا في مُهْده " قالوا : على اعتبار أنه أمرً مهروغ منه ، وحادث لا شكّ فيه ، كانه يقول : أنا أهل لأنْ ألتحمل أمانة السماء إلى أهل الأرض . مع أن الكتاب لم يأت بعد ، إلا أنه مُلقُن لقّنه ربه الكتاب بالفعل ، وإنْ لم يأت الوقت الذي يُبلُغ فيه هذا الكتاب .

﴿ وَجَعَلَنِي لَبِيًّا ۚ ۞ ﴾ [مريم] نسلوكى سلوك قويم ، ولا يمكن أن يكون فيّ مطعَنٌ بعد ذلك ، وإنْ كان هناك مطعن فهو بعيد عنى ، ولا ذنبَ لى فيه .

ئم يقول :

## مِنْ وَجَعَلَنِي مُبَارِّكًا أَيْنَ مَاكُنتُ وَأَرْسَانِي بِٱلصَّلُوةِ وَٱلزَّكَوْةِ مَادُمْتُ حَيَّا ۞ الله

اى : وشرَّع لى أيضا ما دُمَّت حيا .. وقد قال عيسى عليه المعلام في المهد هذه الكلمات ليبرَّىء أمه الصديقة ، ذلك أنهم الهموها في اعزُ شيء لديها ؛ ولذلك لم يكنُ ليُجدى أى كلام منها ، وإنقاذا لها المغها المحق عن طريق جبريل أو عيسى عليهما السلام أن تقول : ﴿ إِنِّى نَذَرْتُ لِلرَّحَمْدِيْ صَوْمًا قَلَنُ أَكُلُمُ الْيَوْمُ إِنْسَا (1) ﴾ [مديم]

ثم يقول :

﴿ وَبَرَّا بِوَالِدَنِي وَلَمْ يَجْعَلَنِي جَبَّازًا مَثْقِيًّا ١

فلم ذكر والدته هنا ؟ ولم حرص على تقرير بره بها ؟ قالرا : لان البعض قد يظن أن عيسى - عليه السلام - حينما يكبر ويعرف قصة خُلْقه ، وأن أمه أثب به من غير أب ، ودون أنْ يمسسها بشر

قد تترك هذه المسالة ظلالاً في نفسته رئساوره الشكوك في امه . فاراد أنْ يقطع كل هذه الظنون .

ذلك لأنه هن تقسمه الدليل ، وهو نقسه الشاهد على براءة أمه ، والدليل لا يُشكُّك في المدلول ، فكأنه يقول للقوم : إياكم أنّ تظنوا أنى سأتجرأ على أمي ، أو يخطر ببالي خاطر سوء تموها .

ثم يقول : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقَبًا ﴿ آ ﴾ [مريم] غنقي عن تفسه صفة الجبروت والقسوة والتعاظم ؛ لأن الرسول لابَّدُ أنْ يكون ليّنَ الجانب رفيقاً بقومه : لأنه أتى ليُخرِج الناس مِمًّا القُوه من الفساد إلى ما يثقل عليهم من الطاعة .

والإنسان بطبعه حين بالف الفساد يكره مَنْ يُخرجه عن فساده ، فمن الطبيعى أن يتعرض النبي لاستفزاز القوم وعثادُهم ومكابرتهم ، فلو لم يكُنُ ليِّن الجانب ، رقيق الكلمة ، يستعيل الأذن لتسمع والقلوب لتعي ما مملح لهذه المهمة .

لذلك يضاطب الحق - تبارك وتعالى - نبيه محمداً الله يقوله : ﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظَّا عَلِطَ الْقَلْبِ لانفَضُوا مِنْ حَوْلِكُ .. (101) ﴾ [آل عمران] ومعنى ﴿ شَغِيًّا ﴿ آلَ ﴾ [مريم] أي : عاصياً ، وما أبعدَ مَنْ هذه صفاته عن معصية الله التي يشقى بسببها الإنسان .

ثم يقول تعالى عن عيسي عليه السلام أنه قال :



سبق أن قلنا في قصة يحيى عليه السلام : إن هذه الأحداث أعلام

ثلاثة في حياة الإنسان : يوم صولده ، ويوم موته ، ويوم أنْ يُبعث يوم القيامة . فما وجه السلامة في هذه الأحداث بالنسبة لعيسى عليه السلام ؟

قوله : ﴿ وَالسَّلامُ عَلَى يَوْمُ وَلِدَتَ .. (\*\*) ﴾ [مريم] لأن يوم مولده مرّ بسلام ، رغم ما قيله من عجائب ، قلم يتعرّض له أحد بسوء ، وهو الوليد الذي جاء من دون أب ، وكان من الممكن أنّ يتعرّض له ولامه يعض المنحمسين الفيورين بالإيداء ، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، ومَرّ الميلاد بسلام عليه وعلى أمه ،

﴿ وَيَرْمُ أَمُوتُ .. (٣٣) ﴾ [مريم] لأنهم اختره ليصلبوه ، فنجَّاه الله من إيديهم ، والقي شلبها على شخص آخل ، ورفعه الله تعالى إلى السماء .

﴿ وَيُومْ أَبُعْتُ حَيًّا ﴿ إِسَالَ ﴾ [مريم] فليس هناك من الرسل مَنْ سيسأل هذه الاسئلة ، ويناقش هذه العناقشة التي تُوقشها عيسي في الدنيا :

﴿ وَإِذْ قَبَالَ اللَّهُ يَسْعِيسَى ابْنَ مَرْيَمُ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخَلُونِي وَأُمِّي إِنْسَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سَبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِى أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحِقَ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلَمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنْكَ أَنْتَ عَلَامُ الْغُيُوبِ (١٦٠) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَ مَا أَمُرتَنِي بِهِ . . (١١٠) ﴾ [المائدة]

وليس هذا قَدُّها في مكانة عيسى عليه السلام ؛ لأن ربه تبارك وتعالى يعلم أنه ما قال لقومه إلا ما أمر به ولكن أراد سيحانه توبيخ القوم الذين الخذوه وأمه إلهين من دون الله فرجه السلام في يوم ﴿ أَبُعَتُ حَبًّا (37)﴾ [مربم] انه تُوقِش في الدنيا وبُرَئتُ ساحته .

#### 01.7100+00+00+00+00+00+0

للم يقول الحق سبحانه :

## ﴿ ذَالِكَ عِيسَى أَبْنُ مَرْيَّمَ فَوَلَكَ ٱلْحَقِّ ٱلَّذِي فِيهِ يَمَثَرُونَ اللَّهِ اللَّ

﴿ فَلِكَ .. ﴿ ثَلُهُ إِمرِيمَ إِلَى : مَا تَقَدُم مِنْ قَصِبَةَ عَيْسَى عَلَيْهُ السَّلَامِ ﴿ فَوْلُهُ أَلُونُ إِلَى الْحَقِ السَّلَامِ ﴿ فَوْلُهُ الْحَقِ السَّلَامِ ﴿ فَوْلُهُ الْحَقِ السَّلَامِ ﴿ فَوْلُهُ اللَّهِ مَا اللَّهُ مَنَ اللَّهُ مَنْ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكُونَ الْحَقِ الذَّى هُو مُنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ عَلَيْكُونَ الْحَقِ الذَّى هُو مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّهُ مَنْ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ النَّهُ الذَّى هُو مُنْ مُنْ اللَّهُ اللَّهُ عَلَيْكُونَ النَّهُ اللَّهُ مَنْ اللَّهُ اللَّالَ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللَّهُ اللّلْ اللَّهُ اللَّلَّالِي اللَّهُ الللَّهُ اللَّهُ اللَّا الللَّهُ اللّهُ اللَّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ اللّهُ

أو : يكون المراد بقول الحق كلمة ( كُنَّ ) التي بها يتمّ الخَلْق .

ثم يقول تعالى : ﴿ اللّٰذِى فِيهِ يَمْثُرُونَ ۚ [1] ﴾ [مريم] من العراء : وهو الاختلاف والجدال بالباطل ، فالمق سبحانه يعلم أنهم سيشكُون فيه ، ويتجادلون بالباطل ، وأنهم سيقولون فيه الأقاويل . وكأن الله تعالى يقول لهم : اتركوا هذه الاقاويل والاباطيل في شأن عيسى وخُذُوا بما أخبرتكم به من خبره ، فهو الحق الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خُلُفه .

ثم يقول الحق ثبارك وتعالى :

## ﴿ مَا كَانَ لِلَهِ أَن لِنَّے خِذُ مِن وَلَدِّ مُبْدَحَنَهُ ۚ إِذَا فَعَنَى ٓ أَمْرُا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُودُ ۞ ﴿ اللَّهِ مَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُودُ ۞ ﴿ اللَّهِ اللَّهِ اللَّهِ

لماذا تكلم الحق سيحانه هنا عن نفى الولد بالذات ؟

قالوا: لأن مسالة الشريك شاتعالى تُنفّي باولية العقل ، فإنّ كان

#### 00+00+00+00+00+00+01-/--

كُلُّ إِلَّهُ صَالَحاً لَلْفَعَ " "رَكَ ، فَهَاذَهُ صَالِرَةً مُكَرِّرَةً لا تَناسَبِ الإِلَهُ ، وَإِنْ كَانَ هَذَا إِلَهَا لَكُذَا وَهِذَا إِلَهَا لَكُذَا وَهِذَا اللّهَ لَكُذَا ، فَصَا عَنْدُ أَجَادِهُمَا نَقْصَ فَي الأَخْرِ ، وهذَا مَحَالُ فِي الإِلَهُ ، ولو أَن هَنَاكِ إِلَهَا آخَرَ لَذَهْبِ كُلُ مَنهُمَا بِكُنَّ مُحَلِّمُ وَهَذَا مَحَالُ فِي الإِلَهُ ، ولو أَن هَنَاكِ إِلَهَا آخَرَ لَذَهْبِ كُلُ منهما بِحَرْهُ ، كَمَا قَبَالُ سَبِحَانَهُ : ﴿ إِذًا لَذَهْبُ كُلُّ إِلَيْهِ بِمَا خَلَقُ وَلَعَلا يَعْضَهُمُ عَلَىٰ بَعْضِ . . ( \* (\*\*)\*\*) المؤمنون] عَلَىٰ بَعْضِ . . (\*\*\*)\*\*

لذلك نفى مسئلة الولد : لأنها ذات أهمية خناصة بالنسبة لنقصة عينسى عليه السلام : لأن الولد من العمكن أنَّ يُستبعدَ ضيه الدليل ، لمناذا ؟ لأن بليله اتضادُ الولد أن حبُّ الولد ، والإنسسان يحب الولد ويسعى إليه ، لعادًا ؟

قالوا : لأن الإنسان ابنُ دنياه ، وهو يعلم أنه صيت ميت ، فيحبُ أن يكون له استداد في الدنيا وذكُر من بعده ، فالإنسان يتحسَح في الدنيا حتى بعد مصوته ، وهو لا يدري أن ذكُر الإنسان لا يأتى بعده ، بل ذكُره يسبقه إلى الآخرة بالعمل الصالح .

إذن : فحبُّ الولد هذا لاستندامة استبقام الحياة ، وهذا مُحال في حمَّقُ الله تبارك وتعالى ؛ لانه الباقي الذي لا يزول .

وقد ينتخذ الولد ليكون عزّوة لابيه وسندا ومُعينا ، وهذا دليل الضّعُف ، والحق سبحان هو القرى الذي لا يحتاج إلى صعرنة أحد . إذن : فاتضاد الولد أمر منفى عنه تبارك وتعالى ، فهو أمر لا يليق يصفام الألوهية ، ويجب أنْ تُتزّه أهد تعالى أن يكون له ولد : لذلك يقول تعالى بعدها : ﴿ سُبْعَانَهُ .. ( ) ﴾

وسبحان ندل على لاتنزيه المطلق شاتعالى تنزيها له في ذاته ، وفي صفاته ، وفي أفعاله ، فهاو سبحانه ليس كماته شيء ، وإنْ

#### مرواة فراتهم

#### 01-1100+00+00+00+00+00+0

وجدت صفة مشتركة بينك وبين الله كان يكون شنعالي وجه ويد، ولك وجهه ويد، فإياك أن تنزل بالمستوى الأعلى فتقول: وجهه كوجهى، أو يده كيدى، لأن لك وجوداً رشتعالي وجود، فهل وجودك كوجود الله ؟

رجودك مسبوق بعدم ويلحقه العدم ، ووجوده تعالى لم يُسبَق بعدم ولا يلصقه العدم ، فيعليك - إذن - أن تقول في مثل هذه العدال : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلُهِ شَيْءٌ وَهُو السَّمِيعُ الْبُصِيرُ [1] ﴾ [الشودى]

والمتتبع لمادة ( سَبِّح ) في القرآن الكريم يجد أنها جاءت بكل الصيّخ : الماضي : ﴿ سَبِّح لِلّهِ مَا فِي السَّمَدُواتِ وَالأَرْضِ ١٠٠٠ ﴾ [الحديد] والمضارع : ﴿ يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمَدُواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ١٠٠٠ ﴾ والمضارع : ﴿ يُسَبِّحُ لِلّهِ مَا فِي السَّمَدُواتِ وَمَا فِي الأَرْضِ ١٠٠٠ ﴾

والأمر في : ﴿ سَجِ اسْمَ رَبُكَ الْأَعْلَى ۞ ﴾ [الاعلى]

فما دام الكون كله سبّح ش ، ولم ينقطع عن تسبيحه ، بل ما زال مُسبّحاً ، فلما خلق الخلق امسرهم بالتسبيح ؛ لأنهم جزء من منظوجة الكون المسبّح ، وعليهم أنْ ينتظموا معه ، ولا يكونوا نشازاً في كون الله .

اما المصدر (سبحان) فقد جاء ليدل على التنزية المطلق الم تعالى م حتى تبل أن تعالى على التنزية المطلق الم تعالى م حتى تبل أن يخلق من يُنزَّمه كما في قوله تعالى : ﴿ سُبْحَانُ اللّٰذِي اَسُرَىٰ مِعْبُدهِ لَيْلاً مُن الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَفْصا الَّذِي بَارَكَا حَوَلَهُ .. ① ﴾ [الإسداء]

لان المسالة عجيبة وفوق إدراك العقل ، فقد جاء بالمصدر (سبحان ) الدال على التنزيه العطلق ش ، كانه تعالى يُحدُر الذين

#### 00+00+00+00+00+0+01-1/10

يُحكِّمون عقولهم ، ولا يُحكِّمون قدرة الله الذي خلقهم بقانون الزمان والمكان والبُعد والمشافة ، فكُلُ فعل يتناسب قرة وقدرة مع فأعله .

ثم يتول تعالى : ﴿ إِذَا قُضَىٰ أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ( ) ﴾ [مريم] ذلك لان الآية في خَلْق عيسى عليه السلام مخالفة للنواميس كلها ، وخارفة للعادة التي آلفها الناس ، فإياك أنَّ تتعجب من فعُل الله تعالى في يحيى ، حيث جاء به مع عطب الآلات ، أو تتعجب من خَلْق عيسى حيث جاء به مع نقص الآلات .

وإياك أنْ تتعَجَّب من كلام عيسى وهو في المهد صبياً ، فهي أمور نعم خارقة للعادة وللتراميس ، فَخُدُها في إطار (سيحانه) وتنزيها له ؛ لانه تعالى إذا أراد شيئاً لا يعالجه بعمل ومُزاولة ، وإنما يعالجه ( بكُنْ ) فيكون .

ولا تنظن أن خُلُق الأشبياء متوقف على هذا الأصر ( كُنْ ) ، قإن كان الفعل مُكوناً من ( كاف ) و ( نون ) فقبل أن تنطق النون يكون الشيء موجوداً ، لكن ( كُنْ ) هو أقصر ما يمكن تصوره لنا ، والحق سبحانه يضاطبنا بما يُقرر بهذه العسالة إلى عقولها ، وإلا فإرادته سبحانه ليستُ في حاجة إلى قول ( كُنْ ) قما يريده الله يكون بمجرد إرادته .

#### @1-AT@@+@@+@@+@@+@@

ثم يقول :

## الله وَإِنَّا لَقُهُ رَبِّي وَرَثِّكُمُ وَأَعْبُدُوهُ هَنذَا صِرَطٌّ مُسْتَقِيدٌ ١

الرب: هو المتولّى للشربية والرعاية . والشربية تعنى أن يأخذ المربّى المربّى بالرياضة إلى ما يصلحه لاداء مهمته والقيام بها ، كما لو أردت مهندسا تُربّيه تربية مهندس ، رإن أردت طبيباً تربيه تربية طبيب . وتحن هذا أمام قوم أشركوا بألك ، ونصتاج لداعية يُضرجهم من الشرك إلى الإيمان ، ومن المعصبية إلى الطاعة .

قالمعنى: ما دام أن أش تعلى ربى وربكم ، والمتولَى لتربيتنا جميعاً ، فلا بُدّ أن يُربّى لكم مَنْ يصلحكم ؛ لأنه تعللى لا يخاطبكم مباشرة ، بل سيبعثنى إليكم أبلغكم رسالته ، وأدعوكم إلى عبادته وحده لا شريك له ، وما دام أش ربى وربكم ضمن الواجب أنْ تُطيعوه ﴿ فَاعَبْدُوهُ . . ( ) ﴾ [مريم] والعبادة أنْ يطبع العابدُ معبوده في أوامره وفي نواهيه . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أُمْرُوا إِلاَّ لِيَعْدُوا اللَّهُ . ( ) ﴾ [البينة]

ثم يقول تعالى : ﴿ هَالَا صِرَاطُ مُسْتَقِيمٌ ( الله علي الذي الذي الذي الذي يُوصِلُك أمقصودك من الآواء فيه ولا اعوجاج ، وهو الطريق الذي يُوصِلُك أمقصودك من القرب طريق ، وباقل منجهود ، ومعلوم أن الخط العستقيم هو أقرب طريق بين نقطتين .

ثم يقول الحق سبحاته:

## ﴿ فَأَخْلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشْهَدِ بَوْمِ عَظِيمٍ ٢٠٠٠

الاحراب : أي الذين اختلفوا في عيسى عليه السلام من قومه ، فمنهم من قال : هو إله ، ومنهم من قال : هو

#### -----

ثالث ثلاثة ، ومنهم مَنْ رماه بالسحير وقال عنه يعضيهم : أبن زني \_ نستغفر الله مما يقوفه الظائمون والكافرون .. .

والأحزاب : جمع حزّب ، وهم طائفة من الناس اجتمعوا حول مبدأ من المباديء ، ورأي من الآراء بدافعون عنه ويعتقدونه ، ويسيرون في حياتهم على وفقه ، ويُخضعون حركة حياتهم لخدمته .

ومعنى : ﴿ مِنْ بَيْنِهِمْ .. ﴿ آلَ ﴾ [مريم] يعنى من داخل المؤمنين به ومن انباع عيسى أنفسهم ، فالذين قالوا عنه هذه الأباطيل ليسوا من أعدائه ، بل من المؤمنين به .

وهكذا اختلف القوم في أصر عيسى ، وكان لكل منهم زأى ، وجميعها مُنَاقية للصواب بعيدة عن الصقيقة ؛ لذلك توعدهم الخالق سيحانه بقوله : ﴿ فُويَلُ لِلَّذِينَ كُفَرُوا مِن مُشْهَد يَوْم عَظِيم (٣٠) ﴾ [مريم]

فقد قلتم في عيسى ما قُلْتم في الدنيا ، وخُضْتم فيه بما أحببتُم من القلول : لأن الله تعالى جلعل إرادتكم نافذة على جلوارحكم ، وأعطأكم حرية الفلمل والاختيار ، فوجّ هنام جوارحكم واخترتم ما يُغضب الله ، فكان عقوبة الدنيا لا تناسب ما فعلوه ، ولابد لهم من عقوبة أجلة في الآخرة تناسب ما حدث منهم في حقق نبيهم وفي حقق ربهم تبارك وتعالى .

﴿ فَوَيْلُ لِلْدِينَ كَفَرُوا مِن مُسْهَد يَرُمْ عَظِيمٍ ۞ ﴾ [مريم] ومشهد يوم عظيم هو يوم القيامة ، يوم تُبلّي السَرائر ، يوم يقوم الناس لرب العالمين ، يوم لا تعلك نفس لنفس شيئًا والأمر يومئذ ش

وسماه المشهد العظيم: لأنه يوم مشهود يشهده الجميع: لأن العذاب في الدنيا مثلاً لا يشهده إلا الحاضرون المعاصرون، ولا يشهده